صلح الإمام الحسن عليه السلام والصلح مع إسرائيل دراسة مقارنة

الأستاذ المساعد الدكتور
عماد هادي عبد علي

الأستاذ المساعد الدكتور
وسيم عبود عطية

جامعة الكوفة ـ كلية التربية للبنات

المقدمة:

قال تبارك وتعالى في كتابه الحكيم ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾[1] فالتأريخ كما وصفه القرآن الكريم عبرة، ولذا انطلقت الدعوات لإعادة قراءة التأريخ الإسلامي عامة وتأريخ أهل البيت عليهم السلام، فقراءة التأريخ بذهنية العبرة ليغدوا مدرسة تعرف نتائجها من حجم التجربة، ونصغ التأريخ في مدرسة نحرّك نتائجها في مستقبلنا، بمعنى دراسة التأريخ الإسلامي في العمق وليس قراءة سطحية لكي نصغ التأريخ في حركة القضية التي نعيشها وانطلاقاً من تجربة الإمام الحسن عليه السلام التي تعد تجربة من أصعب التجارب السياسية والإنسانية فلقد وضح هذا الإمام الإنسان الذي أخلص للإسلام كما لم يخلص له أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وجاهد في الإسلام الذي كان عزيزاً عليه أكثر مما يعز الإنسان ذاته، واختزن الإمام الحسن عليه السلام تلك التجربة كما اختزنها أخوه الحسين عليه السلام، فلقد عاشا مرحلة ولا أصعب وتجربة ولا أقسى، فالإمام الحسن عليه السلام لم يكن لديه جيش يحمل الرسالة لكنه كان يملك جيشاً تتوزعه الأهواء التي توزعته في أواخر حياة أبيه علي ابن أبي طالب عليه السلام، ولم يكن لأحدهما مزاج يختلف عن الآخر فلقد كان مزاجهما الإسلام وكانا يتحركان حيث يريان أن مصلحة الإسلام في هذه الحركة سلماً أو حرباً، وربما لم يقل الإمام الحسن عليه السلام تلك الكلمة ولم يقلها الإمام الحسين ولكنهما كان يعيشان في التجربة: ((لأسالمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن بها جوراً إلا علي خاصة))[2] وتحملا الجور وكانت نهاية

المطاف الشهادة.

أرتأى الباحث دراسة صلح الإمام الحسن عليه السلام دراسة معاصرة ومقارنتها بالصلح مع اليهود في كامب ديفيد للوصول إلى نتيجة من خلال دراسة صلح الإمام الحسن عليه السلام وموضوعيته ودراسة الصلح مع اليهود لنستخلص العبرة التي دعانا الله سبحانه وتعالى إلى استخلاصها من الروايات التأريخية ولاسيما الخاصة بأل البيت عليهم السلام والله الموفق والمستعان.

المبحث الأول

الصلح في الواقع الإسلامي

أولاً: قبسات من شخصية الإمام الحسن:

عندما ندرس شخصية الإمام الحسن عليه السلام ونأخذ قبسات من سيرته بغض النظر عن اللطف الإلهي الذي يتميز به كإمام فنراه عاش طفولته الاولى مع جده المصطفى صلى الله عليه وآله، وقد نقل بعض كتاب السيرة من العلماء من غيرة الشيعة أنه كان ابن سبع سنين وكان يحضر مجلس جده رسول الله صلى الله عليه وآله في المسجد ويستمع إلى ما يلقيه النبي صلى الله عليه وآله من وحي، وما يشرحه فيحفظ ذلك ويأتي إلى أمه فيلقيه عليها مما يدل على وعي منفتح وحافظة عظيمة[٣].

عاش الإمام الحسن عليه السلام بعد ذلك مع أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام ومع أمه فاطمة الزهراء عليها السلام الإنسانة التي مثلت قمة الفضائل وقمة الوعي وقمة العبادة وقمة الصدق وقمة المسؤولية وقمة الشجاعة في الحق وقمة الأمومة بكل متاعبها وتضحياتها وقمة الاحتضان لأبيها بكل روحها وعواطفها، فلقد كانت السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام تدعو للمؤمنين والمؤمنات وتنسى نفسها حتى أنه وهو في السابعة من عمره واجهها وقال لها ((لم لا تدعنين لنفسك، قالت الجار ثم الدار)) وتلك هي القيمة الإنسانية بأسمى معانيها فقد زرعت في روع ولدها فكرة مؤداها نحن نفكر بالآخرين أولاً ونفكر بأنفسنا ثانياً ونهتم بآلام الناس ومشاكلهم

وقضاياهم ونطلب من الله أن يغمرهم بلطفه ثم بعد ذلك نفكر أن ندعو لأنفسنا[٤].

اختزن الإمام الحسن عليه السلام الروحانية الفاطمية في قلبه وعقله وفي حياته، ثم استمر بعد وفاة السيدة فاطمة الزهراء عليها السلام مع أبيه وعاش الأحداث ا لصعبة التي واجهها المسلمون في قضية الخلافة، ولاحظ كيف أن الإمام علي عليه السلام انفتح على الواقع الإسلامي وسمع أباه يقول ((فخشيت أن أنا لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه هدماً أو ثملاً تكون المصيبة به علي أعظم من فوت ولايتكم هذه التي هي إنما هي متاع أيام قلائل يزول منها ما يزال كما يزول السراب أو كما ينقشع السحاب ونهضت حتى زاح الباطل وزهق واطمأن الدين وتنهنه))[٥].

ويتضح مما سبق أن الإمام الحسن عليه السلام عرف من أبيه إن الإنسان إذا وقف بين حقه وإن كان حقه حق الأمة، وبين مصلحة الإسلام والمسلمين فإن مصلحة الإسلام والمسلمين تتقدم لأن حقه إنما هو لأجل الإسلام والمسلمين[٦].

استوعب الإمام الحسن عليه السلام في حياته درساً عظيماً من أبيه وامه، فلقد كان مع أبيه في صبره وانفتاحه حتى على الذين تقدموا عليه، لأن القضية كانت قضية الإسلام لا قضية الأشخاص، حتى إذا تسلم الإمام علي عليه السلام الخلافة وثارت المشاكل في وجهه كان الإمام الحسن عليه السلام في المستوى الكبير من الحكمة ومن الوعي ومن الفقه ومن دراسة الأمور بحيث أن الإمام علي عليه السلام أرسله إلى الكوفة من أجل حل المشاكل الصعبة التي وقفت معترضة خلافته، وهكذا كان الإمام يعتمده في حل المشاكل الفقهية التي كان الناس يسألونه عنها، ولذا فالإمام الحسن عليه السلام استطاع أن يأخذ من الإمام علي عليه السلام كل حكمته وكل قلبه وأن يأخذ منه كل روحه وشجاعته وأخلاقه، حتى إذا توفي الإمام علي عليه السلام وتسلم الخلافة في ظروف من أصعب الظروف فلقد كانت الساحة النفسية والساحة الاجتماعية والساحة السياسية كانت لا تملك عمق الوعي المسؤول ولا تملك الرسالية المنفتحة على الله، بل كانت ساحة استطاعت أن تزحف عليها كل الطفيليات وأن تسيطر عليها كل الانحرافات فواجه الموقف بكل قوة[٧].

عاش الإمام الحسن عليه السلام إرادة القوة في التفاعل مع الوضع الجديد في كل كيانه وفي العنفوان الإسلامي في كل عقله، وعندما نقرأ رسائله التي تبادلها مع معاوية بن أبي سفيان ونقارن بينها وبين الرسائل التي دارت بين الإمام علي عليه السلام وبين معاوية فإننا لا نجد أي فرق في كلمات القوة والمسؤولية والوعي والرسالية والتحدي و العنفوان الإسلامي مما يجعل المحلل لشخصية الإمام الحسن عليه السلام يكشف شخصية قوية بالحق متحدية للباطل عرف كيف يرد التحدي من دون أن يبتعد عن الخط الإسلامي في كل مفرداتها[٨].

المبحث الثاني

أولاً: الصلح في واقعة الإسلامي.

شكلت قضية صلح الإمام الحسن عليه السلام واحدة من أعقد القضايا السياسية التي مر بها العالم الإسلامي فلقد شهدت صراعاً سياسياً وخلافاً عميقاً لذا وجب أن تراعى المصلحة الإسلامية العليا لأن الحرب تسقط الهيكل على رؤوس الجميع وهذا ما نستوحيه من كلمة الإمام علي عليه السلام ((لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن فيها جور إلا علي خاصة))[٩] ، فالسلام والتسليم ينطلق من المصلحة العليا للمسلمين لا من الحالة الشخصية للأفراد، فلا بد لإصلاح الواقع الإسلامي من أن تستخدم العنف ولا بد من أن نثور وعند ذلك تكون الثورة هي الحل للمصلحة الإسلامية[١٠].

استغل بعض الضعفاء مسألة صلح الإمام الحسن عليه السلام ليتحدثوا عن الصلح مع إسرائيل كما استغل البعض صلح الحديبية ليشرعوا للصلح مع إسرائيل في حين أن صلح الحديبية لم يكن تنازلاً من رسول الله صلى الله عليه وآله عن موقفه لكنه كان بحاجة إلى أن تبقى حالة السلم بينه وبين المشركين ليهيئ للفتح الكبير فتح مكة، فلو أن النبي محمد صلى الله عليه وآله دخل في معركة مع قريش في تلك المرحلة لما استطاع أن يتحرك نحو مكة، لذلك كان صلحاً قدم تنازلاً مرحلياً ليربح فتحاً كبيراً ينهي الصراع تماماً مع قريش لأنه أسقط عنفوان قريش[١١].

أما صلح الإمام الحسن عليه السلام فهو صلح تم في الساحة الإسلامية من أجل مصلحة المسلمين الذين اتعبتهم الحروب ولم تعد الحرب تنتج شيئاً في واقعهم جراء التعقيدات والظروف الصعبة التي مر بها المسلمين ولأنه كان يهيئ ويخطط لثورة الإمام الحسين عليه السلام فلو حارب الإمام الحسن عليه السلام آنذاك لقتل وقتل الإمام الحسين عليه السلام، وقتل كل أهل بيته وكل أصحابه ولم يعد هناك صوت ينطق بالحق(١٢).

ثانياً: الظروف السياسية لعقد صلح الإمام الحسن عليه السلام:

اطمأن معاوية بن أبي سفيان إلى أن المعركة فيما لو وقعت بين أهل الشام وأهل العراق ستكون في صالحه بسبب حالة أهل العراق وحالة الجيش المتردية فضلاً عن الأوضاع السياسية المضطربة في الكوفة فقد اعتقد أنه يستطيع التفوق على جيش أهل الكوفة وأن السلطة صائرة إليه لا محالة، لكن استيلاءه عليها بقوة السلاح لا يعطيها الصبغة الشرعية التي كان يحاول التمويه بها على الناس، هذا بالإضافة إلى ما قد يحدث من المضاعفات الخطيرة التي ستجعله في ضيق من نتائجها وذلك فيما لو أصيب الإمام الحسن أو الحسين خلال المعارك وهما سيدا شباب أهل الجنة وريحانتا جدهما وأحب الخلق إليه بالنصوص المتواترة التي لا يجهلها أحد من المسلمين(١٣).

كان معاوية حريصاً على أن لا يتورط مع الحسن بن علي عليه السلام في الحرب ولو كان مطمئناً لنتائجها، فعرض عليه فكرة الصلح في أولى رسائله وترك له أن يشترط ويطلب ما يريد، وراح يردد وحديث الصلح في مجالسه وبين انصاره من جيش العراق ويأمرهم بأشاعته ثم كاتب القادة والرؤساء ليصرف أنظارهم عن الحرب ويبث فيهم روح التخاذل والاستسلام.

أكدت أكثر المصادر التأريخية على أن معاوية عمل بكل ما لديه من وسائل المكر والخداع والاحتيال على تفتيت جيش العراق وبث الذعر والخوف والتخاذل في صفوفه فضلاً عن شراء ذمم قادته وزعماء العشائر بالاموال والوعود المغرية،

وقد أكدت أكثر المصادر على أن الإمام الحسن عليه السلام بقي مصراً على القتال بالرغم من أنه كان على معرفه بكل ما يجري ويدور بين معاوية وأكثر القادة وزعماء القبائل العراقية حتى أنه هوجم في فسطاطه وطعن في فخذه ونهب المهاجمون امتعته ولم يبقَ معه من يطمئن إليهم سوى أخوته وأهل بيته وعدد محدود من القادة والجنود لذا رأى الإمام أن القتال يعرضهم إلى أشد المخاطر لذا وافق على الصلح الذي كان ينشده معاوية ويفضله على جميع الحلول لأنه يستطيع التضليل به على الجماهير(١٤).

تم صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية بن أبي سفيان بعد أن مر الإمام الحسن عليه السلام بتجارب مريرة مع أهل الكوفة وقادة جنده وكان أمراً لا مفر منه ولا خيار بدلاً عنه حرصاً منه على مصلحة الإسلام العليا التي كان مخلصا لها ولا يتحرك إلا في حدودها كما كان أبوه من قبله وأخوه الإمام الحسين عليه السلام من بعده، ولو قدر للإمام الحسن عليه السلام أن يقاتل بتلك الفئة القليلة من أخوته واهل بيته واصحابه البررة، وحارب معاوية مع تخاذل جيشه الذي عبثت به الدسائس والمغريات كما تعبث النار في الهشيم لكانت نهايته المحتومة الأسر أو القتل هو وأخوته وخلص شيعته، ولو جرى ذلك لوقف معاوية يقول لقد عرضنا على الحسن الصلح وأن يكون هو الخليفة ومعاوية هو المنفذ لانقطع امراً دونه ولا نخالفه في مرضاة الله، وله الخلافة في المستقبل خالصة لا ينازعه فيها منازع كما جاء في الرسائل المتبادلة بينهم، لكنه أبى إلا الحرب وإراقة الدماء ولو فعل ذلك لوجد الاغلبية الساحقة من المسلمين إلى جانبه ويحملون الإمام الحسن المسؤولية عن ما حدث للمسلمين من قتل وسفك للدماء(١٥).

أدرك الإمام الحسن عليه السلام أن الصلح بكل ما فيه من نتائج ومفاسد أنفع لمصلحة الإسلام وأقل ضرراً وفساداً من المعني في القتال، فقد كان التنازل عن السلطة في ذلك الجو المحموم منتهى الحكمة والحنكة السياسية الرشيدة حيث كان الإمام موفقاً كما كان أبوه موفقاً في قبول التحكيم الذي فرض عليه بحد السيف

وأسنة الرماح[١٦].

اتفق المؤرخون على أن الحسن بن علي عليه السلام تنازل عن السلطة لمعاوية لقاء شروط وعهود أخذها عليه، وقد ذكر أن معاوية ارسل إلى الإمام الحسن عليه السلام صحيفة بيضاء وختم أسفلها بخاتمة وترك للإمام الحسن عليه السلام أن يكتب ما يشاء ويقترح ما يريد كائناً ما كان وقد جاء في بعض الروايات أن من جملة شروط الإمام الحسن عليه السلام هي:-

- إن معاوية لا يطلب أحداً من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء كان منهم في عهد أبيه أمير المؤمنين عليه السلام ويرى بعض المؤرخون أن الاتفاق لا يتعدى الأمور التالية:

لقد اتفق الحسن بن علي ومعاوية ابن أبي سفيان على أن يسلم له الحسن ولاية أمر المسلمين على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة نبيه وسيرة الخلفاء الصالحين وليس لمعاوية أن يعهد بالأمر إلى أحد من بعده بل يكون الأمر شورى بين المسلمين، وعلى أن الناس أمنون حيث كانوا من أرض الله من شامهم وعراقهم وحجازهم ويمنهم، وعلى أن أصحاب علي بن أبي طالب آمنون على أنفسهم وأموالهم ونساؤهم وأولادهم ،وعلى معاوية بذلك عهد الله وميثاقه وما أخذ الله على أحد من حقه بالوفاء وبما أعطى الله على نفسه وعلى أن لا يبغي للحسن بن علي ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله غائله سراً ولا جهراً ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الآفاق وكفى بالله شهيداً.

ونصت بعض المرويات التاريخية إلى جملة من الشروط منها:

١- أن لا يعهد معاوية بالخلافة لأحد من بعده وجعل الأمر شورى بين المسلمين.

٢- إعلان العفو العام عن جميع الذين كانوا يقاتلون إلى جانبه.

٣- إعلان العفو العام عن جميع الذين كانوا يقاتلون إلى جانب أمير المؤمنين وبخاصة أهل العراق، ومن كان منهم شديد الولاء لعلي بن أبي

طالب عليه السلام، لأن الإمام الحسن كان يعلم ما تنطوي عليه نفس معاوية من الحقد والعداء الشديد لأهل البيت، ولعل هذه المادة كانت من أهم بنود الاتفاق في نظر الإمام الحسن عليه السلام[١٧].

نصت بعض الروايات على أن الإمام الحسن عليه السلام اشترط لنفسه ما في بيت مال المسلمين في الكوفة ومائتي ألف درهم في كل عام بالإضافة إلى خراج بعض المقاطعات في الاهواز فضلاً عن تفضيل الهاشميين على بني عبد شمس وغيرهم في العطاء، فهي روايات غير مؤكدة لعدة أسباب منها:

١- ضعف أسانيدها.

٢- من الراجح أن تكون هذه الروايات من موضوعات الأمويين والعباسيين الذين وضعوا عشرات الأحاديث ليضعوا في الأذهان أن الإمام الحسن عليه السلام باع الخلافة بالأموال وكان منصرفاً إلى الملذات والشهوات[١٨].

المبحث الثالث

صلح الإمام الحسن ومعاهدة السلام مع إسرائيل

تعرض الإمام الحسن عليه السلام لهجمات عنيفة لموقفه من الخلافة خلال الأشهر القليلة التي كانت مسرحاً للصراع بينه وبين معاوية ابن أبي سفيان وكان منتقدوه بين فئتين فئة نظرت إلى الأحداث نظرة سطحية ولم تأخذ بعين الاعتبار ما قامت به الاجهزة الأموية من تشويه وكذب وافتراء على علي عليه السلام وآله الكرام تحريفاً للحقائق، حيث أن هذه الفئة تجاهلت جميع الظروف والملابسات والأحداث القاسية التي كانت تعصف بالخلافة، أما الفئة الثانية فهي التي استهدفت تشويه الحقائق والدس والافتراء على الإسلام وأعلام الإسلام من أهل البيت عليهم السلام من خلال حكامه وتصرفاتهم لا من خلال مبادئه وانظمته وتشريعاته وأبراز دعاته وحماته من خلال الصورة التي أرادها خصومهم السياسيين لهم.

١- لا شك في أن تنازل الإمام الحسن عليه السلام عن الخلافة قد تم تحت ظروف سياسية قاهرة جعلت حرية الإرادة معطلة والإكراه قائماً، إذ كان الإمام الحسن يواجه عدواً أكثر منه عدداً وأوسع منه حيلة وأملك لناصية الأمور فضلاً عن الخيانة المستمرة في صفوف انصاره.

كانت الحرب بالنسبة لإسرائيل بمثابة الوسيلة التي حققت طموحها في فلسطين ففي حرب عام ١٩٤٨ أسس الكيان الصهيوني، وفي حرب عام ١٩٥٦ ((أطلت اسرائيل على خليج العقبة فيما كانت حرب عام ١٩٦٧ البداية لاحتلال كامل لفلسطين مع صحراء سيناء ومرتفعات الجولان، وكان هدف اسرائيل من خلالها الشرعية السياسية التي تجعلها من بين الأمم المعترف بها دولياً، لكن الموقف العربي في تلك الحقبة كان مجتمعاً موحداً رافضاً للهزيمة مؤكداً على أن لا اعتراف ولا مفاوضات ولا صلح))[١٩]، وقد انعكست تلك الآراء في تأييد حرب الاستنزاف التي بدأت بعد عام واحد من النكسة في عام ١٩٦٧ لتصل إلى حد من التعقيد المسلح الذي بلغ ذروته عام ١٩٦٩ ومطلع عام ١٩٧٠ على الرغم من قيام القاذفات الإسرائيلية بقصف المواقع المصرية على طول القناة يومياً[٢٠].

وعند مراجعة الظروف المتعلقة بصلح الإمام الحسن عليه السلام أوجد وحدة ولو ظاهرية في الواقع الإسلامي فالإمام الحسن عليه السلام لم يكن تحت سيطرته من الدولة الإسلامية من الأقاليم غير العراق وما وراءها بعد أن استولى معاوية على معظم أرجاء الدولة، إذ كانت الأمور في أواخر عهد أبيه تسير بشكل سيء ،ولم يستطيع الإمام علي عليه السلام مع مقدرته الفائقة للحرب أن يجابهها، وكان مقتل الإمام يمثل أكبر انهيار للمؤمن، ثم توالت الخيانات من إشراف العراق، في مثل هذا الوضع السيء عقد الإمام الحسن عليه السلام الصلح في الوقت الذي كانت المواقف موحدة في الأمة ا لعربية بعدم إجراء المفاوضات والصلح والهدنة مع إسرائيل حيث تجسدت وحدة الموقف العربي بكل إشكاله السياسية والاقتصادية والاجتماعية متمثلة بوحدة الموقف الشعبي وكان هذا أدعى في الاستمرار في الحرب في حالة التفوق

لا اللجوء إلى المفاوضات والصلح وكان هذا فارقاً جوهرياً بين الصلحين.

٢- كانت الرؤيا واضحة في صلح الإمام الحسن عليه السلام مع معاوية بن أبي سفيان، فقد كان صلحاً فرضته الحكمة ومصلحة الإسلام العليا التي كان الإمام الحسن عليه السلام مستنيراً بها ولا يتحرك إلا في حدودها، كما كان أبوه عليه السلام من قبله وأخوه الحسين عليه السلام من بعده، فلو مضى الإمام الحسن عليه السلام بجيشه وبتلك الفئة القليلة من أتباعه وأهل بيته وأصحابه البررة وبهذا الجيش الذي عبثت به الدسائس ومغريات المال كما تعبث النار في الهشيم، وأوجد الصلح وحدة ولو كانت ظاهرية في الواقع السياسي الإسلامي، كما منعت الحرب عن هذا الواقع وأتاح الصلح في الوقت نفسه دراسة حقيقية من قبل المسلمين للواقع الإسلامي ومعرفة الحقائق التي كانت يتوخاها الإمام الحسن عليه السلام لمعرفة الحق من الباطل في ظل الأجواء الضبابية التي خلقتها السيطرة السياسية لمعاوية بن أبي سفيان على الجو الإسلامي السياسي، في ظل استخدامه للدسائس السياسية والمال السياسي.

أوجدت معاهدة السلام مع إسرائيل خلافاً واسعاً بعد توقيعها فقد اختفت الرؤيا الواضحة لطبيعة الهدف الواضح الذي تميزه الرؤية العربية وهو حل مشكلة الوجود الإسرائيلي في قلب الوطن العربي، لكن هذا الوضوح في الهدف يختفي حينما نصل إلى الكيفية التي يتحقق منها ذلك الهدف، حيث برزت التناقضات في أجل صورها بين الحكومات العربية بفعل توقيع الاتفاقية، فقد كان التحدي الصهيوني تحدياً قومياً للأمة العربية، بمعنى أنه لم يتجه لفلسطين وحدها، وإنما اتجه إلى تفتيت وحدة الأمة العربية من خلال احتلال فلسطين والاعتراف بهذا الاحتلال، فقد انطلقت ظاهرة وحالة التناحر بين الأقطار العربية في تعاملها مع ظاهرة الصراع العربي الصهيوني[٢١] فقد انقسمت المواقف العربية بالخصائص التالية:

١- أن بعض الأقطار العربية أيدت المساعي المبذولة نحو التسوية التي تجسدت في المباحثات بين السادات وإسرائيل بحجة أن تلك الاتفاقيات ساهمت أو

تساهم في إرجاع شريط من الأراضي لمصر وتسمح لها باستعادة سيادتها على القناة، وتساهم في إزالة حالة التوتر بين مصر وإسرائيل وكذلك سوريا وإسرائيل بفضل إقامة مناطق عازلة تحت إشراف ومراقبة قوات الامم المتحدة، وقد تناست تلك الأقطار الأخطار الناجمة عن تلك الاتفاقيات التي أضعفت من القدرة وا لخيار العسكري العربي في حين أنها أفادت إسرائيل عسكرياً واستراتيجياً.(٢٢)

٢- عارضت عدداً من الأُقطار العربية عملية التسوية لأسباب متباينة منها:

أ. أسباب أيديولوجية: وهي الدول التي رأت أن أي تنازل عربي لإسرائيل أو الولايات المتحدة ما هو إلا محاولة يائسة لاستجداء الوطن من أعداء الامة العربية، لذا فالتسوية خيانة للأمة العربية ونضالها الذي خاضته منذ عام ١٩٤٨ وحتى ذلك فضلاً عن أنه خيانة لنضال الفلسطينيين والمقاومة الفلسطينية بالإضافة إلى أنه تعزيز للوجود الأمريكي في المنطقة.

ب. أسباب سياسية: الخلافات بين أقطار التسوية وبعض الأُقطار العربية التي دفعت بالأخيرة إلى معارضة السياسة المصرية تجاه التسوية.

٣- كان موقف الإمام الحسن عليه السلام بعد تجارب مريرة مر بها مع قادة جنده وكان امراً لا مفر منه، وفي الوقت نفسه لم يكن وبكل تأكيد أمراً أو قراراً منفرداً بأي شكل من الأشكال، فقد جاء أولاً ضمن اذهب الله الرجس عنهم وطهرهم تطهيراً وفرض مودته وطاعته على الناس، وهو بذلك كان قراراً مرن تحلى بجميع الصفات الخيرة والكريمة وممن أولى بالخلافة والقيادة، وهو بالتالي ممن جمع جميع الفضائل وليس هناك على وجه الأرض يوم ذاك ممن هو أكرم على الله منه ومن أخيه الحسين عليه السلام.(٢٣)

كانت معاهدة السلام مع إسرائيل تصرفا منفرداً بكل معنى الكلمة، لم يؤدي إلى تسوية شاملة، قدم فيه الرئيس المصري تنازلات كبيرة إلى اسرائيل أدت إلى

عقد تسوية منفردة بينهما دون مراعاة لمشاعر الأمة وجماهيرها فضلاً عن أنها حققت لإسرائيل هدفها الرئيسي المتمثل بالآتي[٢٤]:

١. قبول وجود الكيان الصهيوني والتعايش معه والاعتراف به.

٢. القبول بدور الولايات المتحدة وتعزيز دورها السياسي والاقتصادي كشريك في عملية التسوية بوصفها تمتلك مفاتيح اللعبة كاملة، مما أدى إلى تعزيز دور دولة اجنبية لها مصالح عميقة في تعزيز دور اسرائيل في الوطن العربي فضلاً عن مصالحها الاقتصادية الرئيسية في المنطقة[٢٥].

٤- أن مسألة صلح الإمام الحسن عليه السلام تعطينا وعياً سياسياً من خلال الواقع الإسلامي فعندما تكون المصلحة الإسلامية العليا أن تسالم فيجب أن تسالم لان الحرب في الساحة الإسلامية تدمر الهيكل الإسلامي على الجميع وهذا ما نستوحيه من كلمة الإمام علي عليه السلام ((لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين ولم يكن بها جور إلا علي خاصة)) فالسلام والتسليم ينطلق من المصلحة العليا للمسلمين وهكذا فإن إصلاح الواقع الإسلامي يتطلب أن تثور مرة وأن تسالم مرة أخرى، ولذا فإن البعض استغل مسألة صلح الإمام الحسن ليتحدث عن الصلح مع إسرائيل فصلح الإمام الحسن عليه السلام هيأ العالم الإسلامي لدراسة الواقع الإسلامي آنذاك لمعرفة الحقائق، في حين أن الصلح مع إسرائيل ليس له مبرر شرعي لأن قضية اسرائيل هي قضية الاستيلاء على أرض من أصحابها الشرعيين فهي قضية اغتصاب لأرض ولشعب طردته للخارج دون حقه في تقرير مصيره، لذا وصفها المفكر الإسلامي محمد حسين فضل الله: ((لو قال العالم كله أن إسرائيل دولة تملك الشرعية القانونية لبقينا نقول أن لا شرعية لإسرائيل))[٢٦]، وقد منحت اتفاقية السلام الشرعية الدولية لكيان الصهيوني الغاصب الذي لا يمتلك الشرعية لأنه ليس هناك أي أساس إنساني أو حضاري أو ديني مسيحي أو إسلامي يمكن أن يقر أن شعباً يأتي

ليطرد شعباً آخر ليحل محله[٢٧].

الخاتمة:

١- كانت الرؤيا واضحة عند الإمام الحسن عليه السلام من صلحه مع معاوية بن أبي سفيان فقد كان صلحاً فرضته الحكمة ومصلحة الإسلام العليا التي كان الإمام حريصاً على أن لا يتحرك إلا في حدودها، في حين أوجدت معاهدة السلام خلافاً واسعاً بعد توقيعها بين الأطراف العربية فقد اختفت الرؤيا الواضحة لطبيعة الهدف حين اتجهت المعاهدة إلى تفتيت الوحدة العربية من خلال ظهور حالة التنافر والتناحر بين الأقطار العربية في تعاملها مع ظاهرة الصراع العربي الصهيوني.

٢- كانت الحروب الأربع بين العرب وإسرائيل التي كانت رابحه في هذه الحروب عسكرياً ،لكنها فشلت في الحصول على اعتراف عربي يمهد لشرعية وجودها السياسي فقد كان الاعتقاد يراود أذهان اليهود حول مستقبل وجودهم الغريب في قلب الوطن العربي، ومن هنا فإن المعاهدة وفرت اعترافاً خطيراً بهذا الكيان مهد له تحريك الموقف الجامد باتجاه الدعوة لأطراف عربية أخرى لقبول المفاوضات وهو ما حصل فعلاً وفي نفس الوقت أهملت حقوق الشعب العربي الفلسطيني في أرضه بما في ذلك حقه في العودة إلى وطنه وتقرير مصيره السياسي، في حين شكل صلح الإمام الحسن عليه السلام اعترافاً مؤقتاً بسلطة على شرعية ضمن الواقع الإسلامي لكنها وفرت مناخاً ملائماً للمسلمين لدراسة الحالة، كما أنه صلحاً مؤقتاً في أطار شروطه التي تعهد معاوية بأن يتعهد بأن يعمل في أطار كتاب الله وسنة نبيه، وأن لا يلاحق أحداً برأيه السياسي والديني، كما أنه تعهد بأن يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين، وأن الناس آمنون على أنفسهم وأموالهم ونساءهم وأولادهم، وهي شروط كريمة لكل مفاوض فالشرط شيء وعدم التزام معاوية بهذه الشروط شيء آخر.

٣- لم يتح صلح الإمام الحسن عليه السلام لأي طرف من خارج المعادلة الإسلامية التدخل في هذا الشأن ،في حين كرست معاهدة السلام للأطراف الخارجية التدخل في هذا الشأن فدخول الولايات المتحدة فأنها لا تتعدى عدة أمور أهمها الدفاع عن وجود إسرائيل، وإشاعة الفرقة والتناحر بين الأقطار العربية فضلاً عن تدفق النفط العربي إلى العالم الغربي وحلفاء الولايات المتحدة الأمريكية بالإضافة إلى طمس جوهر القضية العربية الفلسطينية عن طريق الدخول في أنصاف الحلول.

٤- إن قضية صلح الإمام الحسن عليه السلام والخيانات الواسعة في جيشه هي قضية ربما تشير إلى أن الإمام الحسن عليه السلام كان غير قادر على قيادة أمور الجيش من الناحية العسكرية، وفي حقيقة الأمر هذا الكلام غير دقيق تماماً فالمسألة ليست ضعف القيادة لكنها قضية الظروف القلقة المعقدة التي كانت تحيط به وتحيط بتلك المرحلة التي انهك فيها الناس من الحرب وضاعت عليهم خطوط الاشياء وتحركت كثير من التعقيدات الجاهلية وغير الجاهلية في محيطهم، وعلى العكس من ذلك كانت الآراء متفقة تماماً في أجواء معاهدة السلام فقد كانت الأجواء العربية متفقة بأن لا صلح ولا مفاوضات مع الكيان الصهيوني وكان قرار المفاوضات والصلح قراراً انفرادياً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معاني.

هوامش البحث

(١) سورة يوسف، الآية ١١١.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة (٣)

(٣) للمزيد من التفاصيل من حياة الإمام الحسن عليه السلام ينظر: ابن شهر أشوب: أبي جعفر محمد بن علي (ت٥٨٨هـ)، مناقب آل أبي طالب، تحقيق: د. يوسف البقاعي، دار الأضواء، بيروت، ١٩٩١، ج٤،

ص١٤-١٥؛ باقر شريف القرشي، موسوعة سيرة أهل البيت - الإمام الحسن بن علي عليه السلام، دار المعروف، النجف الأشرف، ٢٠١٢، ج١٠، ص٥٨-٦٠.

(٤) المجلسي: محمد باقر (ت: ١١١١هـ)، بحار الانوار الجامعة لدرر اخبار الأئمة الأطهار، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٣، ج٤٣، ص٢٥٣.

(٥) نهج البلاغة، الرسالة: ٦٢.

(٦) محمد حسين فضل الله، الندوة: محاضرات ومطارحات في العقيدة والتربية والفقه والسيرة، إعداد: عادل القاضي، دار المالك للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٨، ج٣، ص٢٠٦.

(٧) المصدر نفسه، ص٢٠٧.

(٨) المصدر نفسه، ص٢٠٨.

(٩) نهج البلاغة، الخطبة ٣

(١٠) محمد حسين فضل الله، الندوة، ج٣، ص٢١٠.

(١١) المصدر نفسه، ص٢١٠.

(١٢) المصدر نفسه والصفحة.

(١٣) هاشم معروف الحسني، سيرة الائمة الأثني عشر، دار الكوخ للطباعة والنشر، طهران، ٢٠٠٤، ص٥١٦.

(١٤) المصدر نفسه، ص٥١٧-٥١٨.

(١٥) المصدر نفسه، ص٥٢١.

(١٦) محمد حسين فضل الله، الندوة، ج٣، ٢١٢.

(١٧) المصدر نفسه، ص٥٢٥.

(١٨) المصدر نفسه، ص٥٢٥-٥٢٦.

(19) Henry Cattan , Palestine ; the roed to peace , lougmanGroupeLimitecl London , 1970,p.46-49.

(20) John Norton , the Arabe- Israeli Conflict , Reading and Do cumeut , princeton University, New Jerssey 1980,p. 1223-1227.

(٢١) رياض الأشقر، المعاهدة المصرية الإسرائيلية وأبعادها الاستراتيجية والعسكرية، اوراق مؤسسة الدراسات الفلسطينية رقم (٢)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٩، ص١٢٠-١٢٣.

(٢٢) شريف جويد العلوان، تسوية كامب ديفيد ومستقبل الصراع العربي الصهيوني، دار واسط للنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٨٢، ص١١٥-١١٦.

(٢٣) بريماكوف، يفغيني، تشريح نزاع الشرق الأوسط، تعريب: سعيد أحمد، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٩، ص١١٨.

(٢٤) الجمهورية العراقية، وزارة الخارجية، الكتاب الأسود عن اتفاقيتي كامب ديفيد والمعاهدة المصرية - الإسرائيلية، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩، ص٢٣.

(٢٥) كمال حمدان وآخرون، الدول الكبرى والصراع العربي - الإسرائيلي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بدولة، ١٩٧٩، ص٢٨.
(٢٦) محمد حسين فضل الله، مصدر سابق، ص٢١٠.
(٢٧) المصدر نفسه، ص٢١١.

قائمة المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.
٢- الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، نهج البلاغة.
٣- ابن شهراشوب: أبي جعفر محمد بن علي (ت: ٥٨٨هـ)، مناقب آل أبي طالب، تحقيق: د. يوسف البقاعي، دار الأضواء، بيروت، ١٩٩١م.
٤- باقر شريف القرشي، موسوعة سيرة أهل البيت - الإمام الحسن بن علي عليه السلام، دار المعروف، النجف الأشرف، ٢٠١٢م.
٥- المجلسي: محمد باقر (ت: ١١١١هـ)، بحار الأنوار، الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٨٣م.
٦- محمد حسين فضل الله، الندوة: محاضرات ومطارحات في العقيدة والتربية والفقه والسيرة، إعداد: عادل القاضي، دار الملاك للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٩٨م.
٧- هاشم معروف الحسني، سيرة الأئمة الاثنى عشر، دار الكوخ للطباعة والنشر، طهران، ٢٠٠٤م.
٨- رياض الأشقر، المعاهدة المصرية الإسرائيلية وأبعادها الاستراتيجية والعسكرية، أوراق مؤسسة الدراسات الفلسطينية رقم (٢)، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٧٩م.
٩- شريف جويد العلوان، تسوية كامب ديفيد ومستقبل الصراع العربي الصهيوني، دار واسط للنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٨٢م.
١٠- كمال حمدان وآخرون، الدول الكبرى والصراع العربي - الإسرائيلي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٧٩م.
١١- بريماكوف يفغيني، تشريح نزاع الشرق الأوسط، تعريب: سعيد أحمد، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٩م
١٢- الجمهورية العراقية، وزارة الخارجية، الكتاب الأسود عن اتفاقيتي كامب ديفيد والمعاهدة المصرية - الإسرائيلية، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٩م.